منهجية أبو الوليد الباجي في نقد ألوهية عيسى وعقيدة التثليث عند النصارى من خلال رسالته إلى راهب فرنسا

Abu Al-Walid Al-Baji's methodology in criticizing the divinity of Jesus and the doctrine of the Trinity among Christians Through his letter to a French monk

10.35781/1637-000-0103-004

د/فاطمة عبده بن محمد دغريري*

*الأستاذ المساعد في العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين

الملخص

تعود أهمية هذا البحث إلى: بيان أهمية الجدل بين أهل الأديان، من خلال إبراز دور العلماء في ذلك" ومنهم الباجي" ، ويهدف إلى الإجابة على الأسئلة الآتية: من أبو الوليد الباجي؟ ما موضوع رسالته؟ وسببها؟ ما آداب الدعوة التي حوتها رسالة الباجي؟ ما المنهجية التي سلكها الباجي في رده على راهب فرنسا؟ والمنهج المتبع فيه: المنهج التاريخي في دراسة حياة المؤلف وبيئته، والمنهج الاستقرائي والتحليلي عرض عقيدة التثليث عند النصارى، وتفنيد الباجي عليها، ويشتمل البحث على مطالب: سيرة أبو الوليد الباجي، : سبب رسالة الباجي إلى راهب فرنسا وموضوعها، ألوهية عيسى وعقيدة التثليث عند النصارى، منهج الباجي في نقد الوهية عيسى وعقيده التثليث عند النصارى. وخلص البحث إلى نتائج من أهمها:

- إن في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم -خير لا ينقطع بتطاول الزمان وانصرام الأيام؛ لأنها خير أمة أخرجت للناس، وهي آخر الأمم، ولذلك كانت هذه الخيرية معلقة بما تقوم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- إن النصرانية إنما هي دين أنزله الله تعالى على عيسى - عليه السلام - ، وهو دين توحيد مثلها مثل بقية الديانات التي جاء بها الرسل من عند الله تبارك وتعالى.

- إن رسالة الفقيه الباجي خلاصة طيبة للجدل الإسلامي، نابع من واجب الدفاع عن حياض الدين الإسلامي.

- أبرزت رسالة الباجي دليلاً على أصالة وسبق العلماء المسلمين في تأسيس علم الأديان.

- التأكيد على أن استخدام المنهجية العلمية وتوظيفها في الردود يكسبها المتانة وقوة الحجة والبرهان.

الكلمات المفتاحية: (منهج - الباجي - نقد - النصارى).

ISSN : 2410-1818

Abstract

The importance of this research is due to: the importance of the debate between people of religions, by highlighting the role of scholars in it, "including Al-Baji," and it aims to answer the following questions: Who is Abu Al-Walid Al-Baji? What is the subject of his message? And the reason for it? What is the etiquette of events included in Al-Baji's message? What lesson did Al-Baji learn? In his response to the rehab of France?, it includes demands, the most important of which are: The biography of Abu al-Walid al-Baji,: Al-Baji's message to the rehab of France and its subject, the divinity of Jesus and the Christian doctrine of the Trinity, al-Baji's approach to criticizing the divinity of Jesus and his restriction of the Trinity among the Christians. The research concluded with results, the most important of which are: - There is a nationMuhammad - may God bless him and grant him peace - is goodness that does not cease with the lengthening of time and the passing of days. The clear one is the best nation of nine people, and it is the last of the United Nations, and these proposals were dependent on what it does in enjoining good and forbidding evil.

Christianity is a religion that God revealed to Jesus - peace be upon him - and it is a monotheistic religion like the rest of the religions that the messengers brought from God, Blessed and Most High.

-The message of the jurist Al-Baji is the epitome of Islamic goodness, stemming from the duty of defending the neighborhood of the Islamic religion.

Al-Baji's message was distinguished as evidence of the accuracy and superiority of scholars in defining the science of religions.

-Recognition that using scientific lessons and employing them in responses gives them durability and strength of argument- and proof

Keywords: (method - Al-Baji - criticism – Christians).

ISSN : 2410-1818

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النعمة المسداة، والرحمة المهداة- محمد - صلى الله عليه وسلم-. **وبعد**

لما كان الصراع بين الحق والباطل سنة الله في خلقه، والحق لا ينصره إلا من يعرف الخير ويعمل به، ويعرف الشر ويجتنبه ويحذر منه، فقد تواصل الجدل بالتي هي أحسن بين المسلمين والنصارى طوال قرون عديدة من تاريخ الاسلام، وسيبقى ما بقي الليل والنهار.

إلا أن أساليبهم في مجادلة المسلمين تغيرت وتطورت في عصرنا هذا، فكان لابد من الاستفادة من تجارب وجهود ومناهج علماء الأديان المسلمين في مجال الردود، وإثبات صحة الدين الإسلامي، وبطلان ما عداه، ومن أهم الردود التي أبدعت فيها الحضارة الإسلامية رد أبو الوليد الباجي إلى راهب فرنسا، ونقضه فيها لألوهية عيسى وعقيدة التثليث عند النصارى، مع ما حوت من أدب جم في مجال دعوة الأديان.

تساؤلات البحث: يجيب هذا البحث على التساؤلات الآتية:

من أبو الوليد الباجي؟ ما موضوع رسالته؟ وسببها؟ ما آداب الدعوة التي حوتها رسالة الباجي؟ ما المنهجية التي سلكها الباجي في رده على راهب فرنسا؟

أهمية الموضوع:

1-إيمان الباحث بأهمية الجدل بين أهل الأديان وخاصة أهل الكتاب، في وقت انحصر فيه صراع القوميات والمذاهب الفكرية، وعودة الصراع بقوة من جديد إلى صراع بين أهل الأديان، ومثل هذا لا يخفي على من تأمل الحروب التي تجري هنا وهناك، حين تضافر اليهود والنصارى في تكثيف الجهود لحرب الإسلام والمسلمين.

2 - إن من أهم مجالات الحوار: الحوار الديني؛ إذ هو الأساس الذي يصدر عنه التعارف بين أهل الأديان والتقارب لتحقيق الدعوة لدين الله، فهو المحرك لكل ذلك، ومثل هذا البحث سيخدم هذا الجانب.

3-إن جهود علماء المسلمين -ومنهم الفقيه الباجي- من أهم فصول الجدال بين المسلمين والنصارى، وهذه الجهود بعض من جهود كثيرة مباركة تنوعت موضوعاتها.

4-حري أن يقف الجيل الإسلامي الراهن على تجربة الأجيال السالفة في موقفها من أهل الأديان موقف الدرس والبحث، وأن يبين المنهج الذي اعتمده المفكرون والمؤلفون في ذلك عرضاً ونقداً، ولا شك أن لذلك أثر في ترسيخ ثقافه الحوار، وترشيد أساليب التعامل مع المخالفين.

ISSN : 2410-1818

أسباب اختيار الموضوع:

1-التميز الذاتي لدى الباجي في نقد عقيدة النصارى.

2-الرغبة في التعرف على جهد ومنهج الباجي في علم مقارنة الأديان.

3-لن يصلح أمر هذه الأمة اليوم إلا بما صلح به أولها، وأولها إنما قام على الإسلام الخالص، فنحن في أمس الحاجة للاستفادة من كل ما قام على الإسلام الخالص في التراث الإسلامي، ومن ذلك الردود الإسلامية، فمنها ما درس ومنها ما لم يدرس بعد، ونحن بحاجة لنخرجه إلى النور، فكما كانت تلك الردود كالصواعق المرسلة على أعداء الإسلام، فنحن اليوم أحوج للإفادة من هذه الردود وتوظيفها.

أهداف البحث:

1-أريد من عملي هذا بداية مرضاة الله - سبحانه وتعالى - أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والقبول.

2-محاولة التعريف بجهد ومنهج الفقيه الباجي في نقد عقيدة النصارى.

3-بيان الموقف الصحيح المتمثل في النقد العادل، نقداً يستهدي بقوله تعالى ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: 8]

منهج البحث: سأستعمل بمشيئة الله المنهج التاريخي في دراسة حياة المؤلف وبيئته، والمنهج الاستقرائي والتحليلي في عرض عقيدة التثليث عند النصارى، وتفنيد الباجي لها.

خطه البحث:

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهدافه وأهميته.

المطلب الأول: سيرة أبو الوليد الباجي -رحمه الله -.

المطلب الثاني: سبب رسالة الباجي إلى راهب فرنسا وموضوعها.

المطلب الثالث: الوهية عيسى - عليه السلام -وعقيده التثليث عند النصارى.

المطلب الرابع: منهج الباجي في نقد ألوهية عيسى وعقيدة التثليث عند النصارى.

الخاتمة وفهارس المصادر والمراجع

المطلب الأول:

سيرة أبا الوليد الباجي -رحمه الله-:

- إن شخصية فذة، مثل شخصية الباجي، ذو علم بالنصرانية وعالم فذ، برع في جملة من العلوم حري بنا أن نخرج بعض جهوده إلى النور؛ ليقف عليها أهل العلم اقتداءً به في العلوم، وفقها بما ضل فيه النصارى من قضايا، وإدراكاً لعظمة الدين الحنيف -وهو الدين الإسلامي- مقارنة بما عند النصارى من ضلال وتحريف.

ISSN : 2410-1818

اسمه:

هو أبو الوليد سلمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي المالكي الأندلسي الباجي: نسبة إلى باجة وهي مدينة بالأندلس، وقد ولد يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة بطليوس. ([1])

حياته:

وقد ذكرت المصادر التي ترجمت له أنه من أبرز علماء الأندلس وحفاظها، سكن شرقي الأندلس، ثم رحل إلى المشرق سنه 426 هجرية طلبًا للعلم، فأقام بمكة المكرمة ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى مدينة بغداد وأقام بها ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحديث، ولقي بها سادة من العلماء، كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب كتاب المهذب، وأقام بالموصل سنه 444 هجرية عاماً واحداً وعرج على مصر وغيرها من حواضر العلم، وقد استغرقت رحلته المشرقية نحو ثلاثة عشر عاماً.([2])

أبرز مصنفاته:

- كتاب المنتقى.
- إحكام الفصول في أحكام الأصول.
-التعديل والتجريح في من روى عنه البخاري في الصحيح.
- السراج في علم الحجاج.
- كتاب الإشارة.
-التسديد إلى معرفة التوحيد ([3]).

---

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت(2/ 409)

(2) انظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ – 1993 م(3/ 1387)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ) الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى (8/ 117: 127)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت (2/ 408، 409)، سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ)الناشر: مؤسسة الرسالة (18/ 535: 545).

(3) سير أعلام النبلاء (18/ 539)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى(8/ 124)3 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (2/ 409)، فوات الوفيات المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت

ISSN : 2410-1818

عصره:

كان عصر الباجي الذي عاش فيه يموج بالفرقة في بلاد الأندلس، وهو العصر الذي يطلق عليه (ملوك الطوائف)، وقد تعالت دعوة إزاء هذه الأوضاع لجمع الشمل، وكان من أرباب هذه الدعوة: أبو الوليد الباجي، يقول عنه صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:(إن الباجي بعد عودته من المشرق لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة، وقد استمرت دعوة الباجي عدة سنوات تجول خلالها في مدن أندلسيه كثيرة دعا فيها العامة وطلاب العلم والحكام إلى توحيد الجهد وبث روح الجهاد.([1])

مكانته من العلم وثناء العلماء عليه:

" كان أبو الوليد - رحمه الله - ، فقيهاً نظّاراً محققاً راوية محدثاً، يفهم صيغة الحديث ورجاله، متكلماً أصولياً فصيحاً شاعراً مطبوعاً، حسن التأليف، متقن المعارف. له في هذه الأنواع تصانيف مشهورة جليلة، ولكن أبلغ ما كان فيها في الفقه وإتقانه، على طريق النظّار من البغداديين وحذّاق القرويين والقيام بالمعنى والتأويل، وكان وقوراً بهياً مهيباً جيد القريحة حسن الشارة، وقد ذكره الأمير أبو نصر ابن ماكولا في إكماله فقال: هو من باجة الأندلس، متكلم فقيه أديب شاعر."([2])

وفاته:

توفي بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين تاسعة عشرة رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة، (403هـ = 1012م)، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر بالرباط على ضفة البحر، وصلى عليه ابنه القاسم.([3])

المطلب الثاني: سبب رسالة الباجي إلى راهب فرنسا وموضوعها:

تسلط رسالة الباجي الضوء على نمط من الجدلية الدينية في القرن الخامس بين النصارى والمسلمين.

وكانت وثيقة الباجي تمثل طرف حوار بدأه راهب فرنسا، عندما بعث إلى الأمير المسلم المقتدر بالله حاكم سرقسطة، يدعو فيها إلى الدخول إلى دين النصارى، شارحاً بعض قواعد النصرانية

764هـ)المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى (2/ 64)، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (مجموعة من المؤلفين) (10/ 799).

(1) دول الطوائف منذ قُامها حتى الفتح المرابط، محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ص: 3، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، للشيخ أبي العباس أحمد الناصري (الدولتان: المرابطّة والموحدّة)، تحقّق تعلّق ولدي المؤلف /الأستاذ جعفر الناصري، والأستاذ/ محمد الناصري 31/2

(2) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ)،الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى(8/ 120،119)

ISSN : 2410-1818

ومحاسنها، وقام بدوره المقتدر بالله بتكليف القاضي أبا الوليد الباجي بكتابة رد على رسالة الراهب الفرنسي.

يقول الدكتور محمد الشرقاوي عن هذه الرسالة:(رسالة الباجي تظهر- في تقديري -رؤية إسلامية صحيحة وعميقة لما عليه العقيدة النصرانية من اضطراب وتناقض وقهر، كما أنها تبرز مسؤولية القاضي الباجي في الدعوة إلى الله تعالى بين غير المسلمين، ووعيه بالطريق الأرشد إلى ذلك عنده، لم تكن مجرد تدبيج جواب على رسالة راهب فرنسا بعث بها مع رسولين إلى المقتدر بالله حاكم سرقسطة، أقصى ما يؤمله الباجي من ورائه أن يرضي المقتدر بالله عنه، لكن طموحه السديد أبعد من ذلك وأعظم؛ إذ كان يروم تعريف راهب فرنسا كبير رجالات الكنيسة فيها بمحاسن الإسلام، وما عليه النصرانية بعد التحريف من مجافاة للعقل والمنطق، فضلاً عن مصادمتها للفطرة السليمة بأسلوب قويم محكم، وإن كل فقرة في الرسالة لتؤكد هذا المعنى وتعمقه"([1])

وقد أشارت هذه الرسالة إلى علم المسلمين الراسخ بالنصرانية، واطلاعهم على كتبها المترجمة، ووقوفهم على ما فيها من اضطراب، مفندا بإيجاز دعوى النصرانية ألوهية عيسى -عليه السلام- من وجوه:

- إنه قد اتصف بصفات الحوادث.
- إنه ولد من غير أب.
-المعجزات التي أظهرها الله تعالى على يد عيسى - عليه السلام -.
- تناقضهم في دعواهم أن عيسى ابن الله تعالى، وأنه ولد لداود -عليه السلام-.

وأيضاً في المقابل فقد عرض الباجي في رسالته: محاسن الإسلام عقيدة وعبادة ونظاماً وأخلاقاً، والدعوة إليه، خاتماً رسالته بدعاء الله -تعالى- أن يشرح صدر راهب فرنسا، ويهديه، ويهدي به من قبله، فيفوز بأجورهم، ويكون سبباً لاستنقاذهم لأنه مطاع فيهم، وكانت خاتمة جوابه قوله:(والسلام على من اتبع الهدى).([2]) ([3])

---

(1) انظر: رسالة راهب بفرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، دراسة وتحقيق دكتور محمد عبد الله الشرقاوي – دار الصحوة للنشر – القاهرة – 1406 هـ، ص 33

(2) المرجع السابق ص 34

(3) هي جزء من خطاب أرسله النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى النجاشي. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك –المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (224 – 310 هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ] الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثانية 1387 هـ – 1967 م، 652/2

ISSN : 2410-1818

المطلب الثالث: ألوهية عيسى - عليه السلام -وعقيدة التثليث عند النصارى:

ألوهية عيسى - عليه السلام - عند النصارى:

الألوهية لغة:" أَلَهَ إِلاهَةً وأُلُوهَةً وأُلُوهِيَّةً: عَبَدَ عِبادَةً، ومنه لَفْظُ الجلالةِ، وأصْلُه إِلهُ، كفِعالٍ، بمعنى مَأْلُوهٍ. وكلُّ ما اتُّخِذَ مَعْبُوداً إِلهٌ عند مُتَّخِذِهِ. "([1])، و" التأليه: التعبيد، ألهه: اتخذه إلهًا، تأله: تنسك وتعبد: تحير." ([2])، فهو "لفظ منسوب إلى الإله، فالإله على هذا هو المعبود.([3])

ومنه توحيد الألوهية: و" هو توحيد الله بأفعال العباد التي تعبدهم بها، وشرعها لهم مثل الدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة إلى غير ذلك، وهذا النوع من التوحيد هو الذي جحده الكفار وكانت الخصومة فيه بين الرسل وأممهم من لدن نوح إلى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65)([4])

والألوهية هي القضية الأساسية التي اختلف فيها النصارى عن المسلمين؛ فإن الإله المعبود واحد وآلهتهم ثلاثة، وجعل النصارى عيسى - عليه السلام -أحد الثلاثة باعتبار أنه إله، وقد أورد الباجي مستند النصارى في تأليه عيسى -عليه السلام- وهي كالتالي:

- إنه قد ولد من غير أب.
- المعجزات التي أظهرها الله تعالى على يده.([5])

وبالنسبة لعقيدة التثليث عند النصارى، فمراد النصارى بالتثليث:(إله واحد من الأب والابن والروح القدس إله واحد، جوهر ذات واحد متساويين في القدرة).([6])

ويعرف ابن حزم التثليث فيقول: (التثليث أو الثالوث هو الاعتقاد في ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر الإلهي: الأب، والابن، والروح القدس، وقد حرر مجمع نيقية، المجمع المسكوني الأول المنعقد

---

(1) القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م (ص1242)

(2) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) المؤلف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت(1/ 199)

(3) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ص241

(4) كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد» المؤلف: عمر العرباوي الحملاوي (المتوفى: 1405هـ) – الناشر: مطبعة الوراقة العصرية، تاريخ النشر: 1404 هـ - 1984 م - عدد الأجزاء: 1(ص: 60)

(5) انظر: رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها ص 33

(6) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية سعود عبد العزيز الخلف أضواء السلف الطبعة الأولى 1418 ص 224

ISSN : 2410-1818

سنة 325م، تساوي الأب والابن في الجوهر، وأكبر مجمع القسطنطينية الأول – المجمع المسكوني الثاني المنعقد سنة 381م – ألوهية الروح القدس).([1])

وأخذت عقيدة الألوهية من حيث التوحيد والتثليث مساحات من الجدل والخلاف استمر لقرون، وحصلت الانقسامات في الكنيسة بتأثير تنوع الأفهام حول التوحيد والأقانيم الثلاثة: الأب، والابن، والروح القدس، وسبب هذا اللبس هو كيفية التوفيق والربط بين الوحدانية وبين الظهورات في الأقانيم، وبعد دراسات توصل كتاب " قاموس الكتاب المقدس " إلى القول بأن كلمة تثليث لم تكن معروفة في السنوات الأولى من عمر المسيحية وتوالت بعدها المواقف والآراء.

وجاء في دائرة المعارف الكتابية: (لم ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدس، حيث لا يذكر الكتاب المقدس هذا اللفظ بالذات، تعبيراً عن مفهوم أنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي.)([2])

ومن أدلة النصارى على التثليث ما يلي:

-جاء في رسالة يوحنا: (فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد).([3])

وجاء في التوراة: (وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا).([4])

ويستدلون على قولهم بالتثليث وإمكانية أن يكون الواحد في ثلاثة بالطبيعة من الهواء والشمس، حيث يقولون إن الهواء مركب من ثلاثة: ذرة الأكسجين، ذرة الهيدروجين، ذرة النيتروجين، ولكنه هواء واحد، وأما الشمس: فهي مكونة من ثلاثة عناصر: الدفء والضوء والحرارة، ولكنها شمس واحدة.([5])

(1) نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، عدنان المقراني، ص 82، بين الإسلام والمسحية، أبي عبيدة الخزرجي، ت:د. محمد شامة، مكتبة وهبة، ص 54.

(2) انظر: إعجاز القرآن ونقد مطاعن عبدة الصلبان، وائل على أحمد الدسوقي، ط/الثانية، 1427هـ، ص4

(3) إنجيل يوحنا (7/5)

(4) الإصحاح الأول / سفر التكوين.

(5) انظر الشيخ: أحمد ديدات وجهوده في الدعوة إلى الله، ص156.

ISSN : 2410-1818

المطلب الرابع: منهج الباجي في نقد ألوهية عيسى وعقيدة التثليث عند النصارى:

سلك الفقيه الباجي منهجاً علمياً في نقد عقيدة النصارى، مما يؤكد أن علماء المسلمين كان لهم السبق في إرساء علم الأديان وفق دراسة وضوابط علمية، ولم تكن جهودهم في مجال الأديان مجرد ردود ارتجالية.

والمقصود بالمنهج العلمي:

-هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

وأيضاً يعرف المنهج العلمي: بأنه هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال.

وأيضاً عرف بأنه: القواعد العلمية التي يسلكها العقل في حركته للبحث عن حقيقة في أي مجال من مجالات المعرفة.

وهذه التعريفات واحدة في المعنى وإن اختلف التعبير عنها باللفظ، لأن مدارها على القواعد التي يسير عليها الباحث أو تسيِّر الباحث عند إرادته بحث (أي مسألة علمية)([1]).

ولاشك أن ضبط الردود من خلال المنهجية يصل بنا إلى الطريق الصحيح للرد، وهو موصل إلى الحجة والبرهان وتمام الإقناع ؛ لأن القواعد العلمية والطرائق الإجرائية شأنها احتواء مختلف الأفهام والإجابة عن جميع التساؤلات واستيعاب كافة الأطراف، وقد تنوعت المناهج التي استخدمها فقيهنا الباجي في الرد على النصارى، ومنها: منهج النقد الجدلي والذي يقصد به: تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامةً، أو إلى الشعر خاصةً، ويبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، ويُعبر منها إلى التفسير والتحليل والتقييم، خطوات لا تغني إحداهن عن الأخرى.

كي يتخذ موقفاً واضحاً مؤصلاً على قواعد -جزئية أو عامة- مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز.

ويتغاير مفهوم النقد بحيثيات الفن الذي يخاض فيه، ولكلٍ قواعده ومناهجه، غير أن المشترك بينهما، هو النظر في المقالة لبيان عيوبها، وكشف نقائصها، ثم الحكم عليها بمعايير فنها، وتصنيفها مع غيرها.([2])

---

(1) دراسة علم الأديان وأهميتها، ومناهج الباحثين فيها، د. عبد المجيد بن محمد الوعلان،ط،2019م، صـ16، وانظر مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، عبد الرحمن الزنيدي، مركز الدراسات والإعلام، دار أشبيليا، الطبعة الأولى، صـ15.

(2) مقال للدكتور/ بلبل عبد الكريم، التعريف بالنقد، 1430/10/5هـ.- 2012/4/2م- شبكة الألوكة https://www.alukah.net/social/0/39819/

ISSN : 2410-1818

والجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله، كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وتكون المجادلة منازعة في مسألة علمية لإلزام الخصم، سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أو لا، ويحوي معنى المنازعة في المباحثة، بالأخذ والرد، والتمسك والدفاع عن قول، والرد والهجوم على قول.([1]) فنجد الجدال يعرض أقوال الخصوم ويعرض أقوال المذهب، ثم الهجوم على أقوال الخصم واحداً واحداً وتفنيدها بأوجه متعددة، وبعدها بيان رجحان قول المذهب، فيقوم الجدل على السبر ثم التقسيم، بينما النقد يكون بالمقارنة والأخذ والرد.([2])

وهو منهج أمثل لأن وصف الأديان وحده لا يكفي، كما أن المقارنة بغير المواجهة غير مجدية، والنقد والردود قبل استيفاء العرض والمناقشة مجانبة للأمانة والإنصاف. ([3])

وخلاصة هذا المنهج أنه: يقوم على تبادل الحجج والجدال بين طرفين دفاعاً عن وجهة نظر معينة.

وهذا تماماً ما انعكس في رد الفقيه الباجي على الراهب، حيث أورد قول النصارى في عيسى -عليه السلام -من خلال رسالة الراهب فيقول الباجي: " وان لنربأ بمثلك، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك، من أن عيسى- صلى الله عليه وسلم- ابن الله تعالى ".([4])

ورد عليه بقول المسلمين في عيسى، " بل هو بشر مخلوق وعبد مربوب"([5])

ثم أورد الأدلة على صحة هذا القول بالدلائل التالية:

- تطرأ عليه دلائل الحدوث من الحركة، والسكون، والزوال، والانتقال، والتغيير من حال إلى حال، وأكل الطعام، والموت الذي كتبه الله على جميع الأنام.

- لو جاز مع وجود المحدثات في شخص عيسى -عليه السلام - أن يكون إلها قديماً لنفينا أن يكون العالم أو شيء مما فيه محدثاً مخلوقاً؛ لأنه ليس في شيء من البشر، والعالم وما فيه من الحيوان والجماد من دلائل الحدوث غير ما في عيسى - عليه الصلاة والسلام-.

---

(1) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت عدد الأجزاء: 40 أعوام النشر: (1385 – 1422 هـ) = (1965 – 2001 م) (28/ 194، 195)، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) المؤلف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت،489/1، الكليات، الكفوي، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، 1/ 353، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد الفاروقي التهانوي، تحقيق د/ علي دحروج، مكتبة لبنان –ناشرون، ط/1، 275/1.

(2) الكليات، الكفوي، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، 1/ 353، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد الفاروقي التهانوي، تحقيق د/ علي دحروج، مكتبة لبنان –ناشرون، ط/1، 275/1.

(3) دراسة علم الأديان وأهميتها و مناهج الباحثين فيها، د. عبد المجيد محمد الوعلان، صـ 22

(4) انظر: رسالة راهب فرنسا ص 65

(5) المرجع السابق

ISSN : 2410-1818

وأورد الباجي حجتهم في ألوهية عيسى- عليه السلام- بزعمهم أنه من غير أب ورد عليهم: بأن آدم خلق من غير أب ولا أم إنما هو من تراب، ولم يقل أحد إنه إله، وقد حملت بعيسى أم، ولم تحمل بآدم أنثى، ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم إلهاً، وهو الأب الأول، بل هو مخلوق، فعيسى أولى ألا يكون إلهاً وهو من ذرية آدم وولده.

وأورد الباجي حجتهم في تآليه عيسى -عليه السلام - بما أجري على يديه من معجزات ؛ بأن الله أظهر على يد سائر الرسل من الآيات الواضحة والمعجزات الباهرة، مثل ما ظهر على يد عيسى وأكثر، فلو جاز أن يدعى لعيسى- عليه السلام - بشيء مما ظهر على يديه من إحياء ميت، وإبراء أكمه وأبرص، بأنه ابن الله تعالى: لجاز أن يدعى ذلك لإبراهيم- عليه السلام - لما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد أن قذف فيها، ولجاز أن يدعى ذلك لموسى - عليه السلام - لما ظهر على يديه من قلب العصا حية، وفلق البحر، ولجاز أن يدعى ذلك لمحمد- صلى الله عليه وسلم -، لما ظهر على يديه من انشقاق القمر ([1])، ونبع الماء من بين أصابعه([2])، وتسبيح الحصى في يده ([3])، وحنين الجذع إليه([4])، أو غير ذلك من الآيات. ([5])

---

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري بلفظ: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: (أَنَّ أهل مكة سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر. أخرجه الإمام البخاري –كتاب: المناقب– باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر. (3/ 1331) برقم3437

(2) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَانَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ الإمام مسلم عِنْدِ آخِرِهِم.) أخرجه الإمام مسلم– كتاب: الْفَضَائِلِ – بَابٌ: فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (4/ 1783) برقم (2279).

(3) عن أنس: أن النبي– صلى الله عليه وسلم – أخذ حصيات في يده فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد أبى بكر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عمر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن) ذكره الإمام السيوطي في جامع الأحاديث مسند العشرة – مسند أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم – (33/ 196)برقم36050

(4) ومما يدل على ذلك ما قاله جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنه – أنه: «كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ أَصْوَاتِ العِشَارِ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ» أخرجه الإمام البخاري – (2/ 9)برقم 918 –وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ ذَهَبَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَاحْتَضَنَهُ فَسَكَنَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه الإمام ابن ماجه – كِتَابُ: إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا – بَابُ: مَا جَاءَ فِي بَدْءِ شَأْنِ الْمِنْبَرِ (1/ 454)برقم 1415 – [تعليق محمد فؤاد عبد الباقي] في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات

(5) انظر رسالة راهب فرنسا ص 66، انظر: خلاصة سير سيد البشر المؤلف: أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (ت 694هـ) المحقق: طلال بن جميل الرفاعي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – السعودية الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م ص112

ISSN : 2410-1818

كما نقض الباجي قولهم في ألوهية عيسى بدليل منهم وهو قولهم:

إن عيسى من ولد داوود -عليه السلام -فيقول: " وداوود عبد مخلوق وجد بعد أن لم يكن، ومات بعد أن حيي، فكيف يكون عيسى الابن خالق داوود أبيه وإلهه؟!وكيف يكون ابناً لداود والمخلوق ابناً لله الخالق."

وعضد إثبات بشرية عيسى-عليه السلام- بأدلة أخرى منها قوله: " فذلك بأن إبليس يعرض لعيسى مثل باقي البشر بقوله: " إن إبليس عرض لعيسى الإله -بزعمكم - ، ورقي به أعلى جبل، وأراه زهرة الدنيا..." فكيف يكون عيسى إله إبليس وإبليس يعرض له؟!.

وكيف يعاقبه في الآخرة بالعذاب الأليم، وهو لا يستطيع أن يخلص نفسه منه، ومن فتنته في الدنيا؟!([1])

كما أن الباجي نقد عقيدة النصارى في التثليث أيضاً وفق هذا المنهج، فقد نقد عقيدة الاتحاد عند النصارى بما استدل به سابقاً ودلل على بشرية عيسى، واستحالة كونه إله ابن الله، بأنه لو كان عيسى يعلم الغيب لاستكثر لنفسه، وجعل الناس مؤمنة، ولما وهب نفسه ودمه فداء للبشرية، يقول الباجي: " قولكم: أنه بذل دمه في خلاص العباد؟، وكيف يكون للرب دم..."([2])

كما استخدم الباجي: المنهج التحليلي المقارن:

وهو منهج كغيره من المناهج السابقة مركب من منهجين المنهج التحليلي والمنهج المقارن.

المنهج التحليلي: هو طريقة منظمة تستخدم في معالجة الدراسات الإنسانية والعلمية في الوقت نفسه، وتختلف طريقة التحليل حسب مكنون البحث، ففي البحوث المتعلقة بالعلوم الإنسانية كعلم مقارنة الأديان تتطلب منهجاً تحليلياً يناسب النصوص المدروسة، بحيث يقوم على عملية تفكيك لموضوع الدراسة لعناصر بسيطة أولية، ثم دراسة كل جزئية على حده عن طريق عملية نقد وتقويم للمعلومات والبيانات وفي النهاية تأتي مرحلة التركيب أو الاستنتاج والخروج بمفاهيم واضحة، يستخدمها الباحث في التعميم من خلال وضع أسس وقواعد معينة.

المنهج المقارن:

هو منهج يسلك فيه الربط بين الموضوعات المتعددة؛ لاستخلاص أوجه الشبه، أو الخلاف بينها، ثم الخروج من ذلك بحكم تدعمه لنتائج العلمية.([3])

---

(1) المرجع نفسه ص 86

(2) انظر: رسالة راهب فرنسا ص 80

(3) انظر: المعجم الفلسفي من وضع مجمع اللغة العربية، ص 189، القاهرة، 1403، دراسة علم الأديان – أهميتها ومناهج الباحثين فيها –المؤلف: د. عبد المجيد بن محمد الوعلان ص21

ISSN : 2410-1818

والخلاصة: المنهج التحليلي المقارن هو: طريقة يراد بها اكتشاف عناصر موضوع معين، من أجل غرض خاص، وعرض تلك العناصر على الموازين الدقيقة لمعرفة صحتها من فسادها، وكونه مقارن: أي يسلك سبيل الربط بين الموضوعات المتعددة، لاستخلاص أوجه الشبه أو الخلاف بينها، ثم الخروج من ذلك بحكم تدعمه نتائج علمية.([1])

ويتضح هذا المنهج جلياً في رد الباجي: من حيث تحليله لدواعي تأليه المسيح - عليه السلام - ثم نقضها بإثبات المقابل من بشريته، فإضافة إلى ما سبق مما ذكره الباجي من أدلة بشرية المسيح - عليه السلام - على سبيل التحليل، يذكر أيضاً أدق الأدلة في إثبات بشرية عيسى ونفي ألوهيته، وما يتعلق بمنهج المقارنة، فكان هذا المنهج واضحاً في أكثر من موضع، ومن ذلك: في انتقاله بعد إبانة ضلال النصارى إلى بيان صحة الإسلام، من خلال معجزة نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم - الدامغة، وهي القرآن الكريم، قال تعالى ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، ملخصاً بعبارة وجيزة وجهاً من إعجاز القرآن الكريم بقوله: " أفضل الكتب والخاتم لها، والحاكم عليها، والمصدق لها، يتضمن علم الأولين والآخرين، وأنار قلوب المؤمنين بالحق المبين، فحمداً لله على ما خصنا به وهدانا له".

وأشار الباجي إلى ما تميز به القرآن الكريم، من الحفظ دون غيره فيقول:" تولى حفظه ربنا - عز وجل -وعمّر به ألسنتنا وقلوبنا، فلا يمكن لأحد تغييره، ولا تبديله، ولا حذفه عن وجهه، ولا تحريفه...".

وفي بلاغة إعجازه، يشير إلى الفرق بين القرآن الكريم وتناقض الأناجيل فيقول: "وقد ورد متحملاً كتابك - يقصد الراهب - مما أورده كلام البشر الذي جرت عادة أهل الضعف بإيراده عند العجز والفشل، والتبلد، والخور مع التحيز، والانقطاع، والاضطراب في الدعاوى، والأقوال...".

وعلى سبيل المقارنة، يذكر الفرق بين القرآن والمعجزات التي قبل: بأن المعجزات السابقة امتنعت مشاهدتها، وانقضى وقتها، وإنما ينقل إلينا ذكرها، ونخبر عنها، وقد صدقناها لأن المخبر بها القرآن الكريم والرسول-صلى الله عليه وسلم -، بينما القرآن باق بين أظهرنا، ثم أورد مقارنة مباشرة بين القرآن والإنجيل من عدة جوانب:

- اتصال السند: فالقرآن الكريم محفوظ بسند متصل في الصدور والسطور، والإنجيل مر بفترات انقطاع.

- القرآن معجزة خلت من التحريف بزيادة أو نقصان، بينما الأناجيل حوت الكثير من الزيادة والنقصان. ([2])

(1) دراسة علم الأديان وأهميتها ومناهج الباحثين فيها، ص20،21

(2) انظر: رسالة راهب فرنسا ص 70: 86

ISSN : 2410-1818

كما أن المنهج العقلي من أبرز المناهج التي استخدمها الباجي والمقصود به:

الطريق الأمثل وفق مجموعة من الأساليب التي ترتكز على العقل المميز، وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار.([1])

والمراد بالعقل في الدرس النقدي: هو كل المفاهيم التي قيلت في العقل، فعندما تستخدم العقل في نقد المقولات الدينية، تكون المقولة المدروسة هي التي تحدد المعنى المناسب لنقدها، فإن كانت بينة بنفسها وواضحة الصدق، أو واضحة البطلان كانت موضوع الغريزة، أي أن مجرد الجزم بها بوضوح تام كاف لقبولها.

أما إن كانت المقولة الدينية متناقضة، كالتثليث مثلاً، كان العقل الذي يرادها هو العلوم الضرورية، ومبدأ التناقض على وجه الخصوص، وإذا كانت المقولة المدروسة مثلاً هي المصادفة التي يستعملها بعض الملاحدة لتفسير نشأة الكون بطريقة المصادفة كان ردها عقلاً، يعني أنها كانت متناقضة لضرورة السببية، لأن الحادث لا يمكن أن يوجد دون سبب.

وإن كانت المقولة مخالفة لعلم مستقر ثابت، كان ردها لمخالفتها العقل النظري، وإن كانت المقولة صحيحة في نفسها ومن لازم صحتها العمل بمقتضاها كحال من يثبت وجود الله وربوبيته، ثم لا يخضع له بالعبادة، كان نقد هذا الموقف المسلكي بناء على بطلان مخالفة العمل للعلم.

وهكذا يظهر أن للباحث في نقد الأديان أن يستصحب المفهوم المناسب الذي تفرضه طبيعة المادة المدروسة التي يراد تمحيصها، وكل هذه المفهومات من معاني العقل ومسمياته.([2])

والخلاصة: في هذا المنهج: أنه المنهج القائم على صحة العقل والبراهين العقلية، والذي يقضي العقل حكما عليه في القبول والرد، وهو منهج صالح للتعامل مع الناس على اختلاف أديانهم، إذ أن مناطه دائرة على العقل البشري بعيداً عن أي أدلة ونصوص نقلية.

وقد استخدم الفقيه الباجي بصورة واضحة المنهج العقلي في عرض الأدلة، كما دعا إلى إعماله، فبداية وجّه راهب فرنسا إلى إعمال العقل حيال الدنيا وغرورها، وكل ما فيها إلى زوال ويخلفها دار مقر وما فيها من جزاء، ليشحذ همة عقل الراهب للتفكر ويدرك بالبصيرة ضلال ما هم عليه، ولا نجاة إلا بالإسلام.

كما نلمح إلى استخدام الإمام الباجي للمنهج العقلي في استدراج الراهب في ملاحظة الأدلة التي تثبت خلاف معتقد الراهب، وهو ما يسمى بتفكيك منهجية الخصم، فنجده يؤكد للراهب بأن الآيات

(1) انظر: المنهج العقلي في القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب من خلال سورة البقرة دكتور جمال الدين أحمد القادري، المدينة المنورة، 1438، ص12.

(2) الأسس المنهجية لنقد الأديان، السفياني، ص 255:288

ISSN : 2410-1818

لا تقتضي تجويز المحال وإحالة الجائز، فلا تدل على ألوهية عيسى - عليه السلام -، وإنما تؤكد أمر نبوته؛ لأن ما فيه من صفات الحدوث لا تحيل كونه نبياً.

ولو جاز أن يقال أن عيسى- عليه السلام - إله خالق، لما أجرى الله - عز وجل - على يديه من المعجزات، لجاز كذلك أن يقال عن كل الأنبياء أنهم آلهة لما أجراه الله على أيديهم من معجزات.

كذلك أورد الباجي حجة عقلية قوية: وهي تناقض الراهب مع أهل ملته في انفراده بالقول: أن الإيمان بالمسيح واجب لا ينبغي الإيمان بأحد سواه، وفي نفس الوقت عندهم الإيمان بالأب واجب، ولم يتحد بالناسوت الذي هو الابن، وهذا كفر بالأب؛ لأن عنده الإيمان لا يكون إلا بالابن.

كما أشار إلى الدليل الفطري: في إثبات وحدانية الله، وهو ما تسكن إليه النفوس وتسلم، وذلك في حديثه عن عظمته سبحانه وقدرته، وعزته، وتفرده بالخلق والإنشاء، وكشف الضرر والبلوى.

واستخدم الباجي قياس الأولى: فزجر الراهب من ادعاء سكون نفسه إلى القول بألوهية المسيح كسكون البراهمة والدهرية والثنوية إلى أقوالها على ضلالها. ([1])

وأيضاً من الشواهد العقلية التي استخدمها الباجي: إنه دلل بالمعجزات التي أعطاها الله لمحمد- صلى الله عليه وسلم- مثبتاً نبوته، وبالتالي هذا يعد دليلاً على صحة عقيدتنا في عيسى- عليه السلام -، حيث أخبرنا أن عيسى - عليه السلام - لا يعدو أن يكون نبياً، وقد تدرج الباجي في سرد معجزات محمد- صلى الله عليه وسلم - مبتدئاً بانشقاق القمر، حتى المعجزة الخالدة وهي القران الكريم، والتي دلت على صدق نبوته - عليه الصلاة والسلام -، مورداً صورة مجملة من الإسلام: ديناً، وشريعةً، والتي تأخذ بيد الواقف عليها إلى طريق الحق ؛ لاشتماله على التمام والكمال. ([2])

آداب دعوية حوتها رسالة الفقيه الباجي إلى راهب فرنسا:

- **المجادلة بالتي هي أحسن:** فقد التزم الإمام الباجي في رسالته بالتوجيه القرآني، بالجدال بالتي هي أحسن، ولين القول، وحسن الحوار، ولطف العبارة، ومما يدل على ذلك قوله:" فألنا له القول، وأولياه الإعراض والصفح."([3])
- **الإحاطة التامة بأفكار الخصم:** أوضح الإمام الباجي أن علماء المسلمين تعمقوا في دراسة العقيدة المسيحية وسبروا أغوار الاختلافات بين الطوائف المسيحية وحول هذا المعنى يقول " وعندنا من علم شريعتكم واختلاف أخباركم في ملتكم وما تورده كل طائفة من شبهكم في الأقانيم والاتحاد

(1) انظر: رسالة راهب فرنسا من صفحة 70: 76

(2) انظر: المرجع السابق ص 97

(3) انظر: المرجع السابق ص 63

ISSN : 2410-1818

ومعنى اللاهوت والناسوت ... ما لو أبدينا إليهما - أي إلى الرسولين اللذين حملا الرسالة - اليسير منه لحيرهما وبهرهما (1)

- **تفكيك منهجية الخصم:** وجه الإمام الباجي اهتماما بنقض أفكار الراهب حول المسيحية وتصويب آراءه بشأن الإسلام، لكنه لم يقتصر على ذلك وإنما اتجه كذلك إلى إبراز التناقضات التي ضمها الراهب في رسالته كقوله "وقد رأينا ما في كتابك مما خالفت به جميع أهل ملتك فإنه ليس في فرق النصارى من يقول إن المسيح لا ينبغي الإيمان بأحد سواه" وليس هذا هو التناقض الوحيد إذ "لو تتبعنا ما في كتابك من: التناقض، وفساد الوضع، ومستحيل القول، لما سلم منه إلا اليسير الحقير، حملنا ذلك منك على ما عهدناه من أهل ملتك من قلة العلم والبعد عن مقاصد المناظرة. (2)

- **ضبط المفاهيم:** لاحظ الإمام الباجي استخدام الراهب المفاهيم دون إدراك لمدلولاتها حيث أوضح له " أنها ألفاظ كثيرة سمعتها لا تعرف معانيها (3)، وتستعملها في غير مواضعها لأنك لا تعرف مقتضاها، ولوددنا أن الله ييسر لك الهجرة إلينا والمثول لدينا لتسمع الكلام على حقيقته في معاني الألفاظ وتقيم وجوهها واستعمالها على ترتيبها. (4)

- **التأكيد على عظم أهل الدعوة إلى الله،** وضرورة القيام بواجب الدعوة، وذلك نلمحه من خلال قول الباجي:" ونبهتنا -لعمر الله - بنصيحتك على ما يلزمنا من ذلك،"... تعينت علينا مفاوضتك فيما رضيناه من مسألتك... إلى قوله:...الرسل "

- **التماس العذر** وايضاح السبب في اختلاف الرأي.

-**اللجوء إلى الحوار** قبل المناظرة والجدال.

- **بيان متى يكون الإغلاظ على المدعو،** ومتى يكون الرفق به، وكيف يكون ذلك.

- **ضرورة الاسترسال والتدرج في الحوار وامتداده،** ليشمل جميع جوانب الريبة التي تحول دون إقناع الخصم.

-**التأكيد على عدم مجاوزه الحد في النقد،** وأن الحد الكافي فيه إثبات بطلان حجة الخصم بالدليل، لما في مجاوزة الحد من التنفير عن قبول الحق.

---

(1) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين ورد القاضي أبو الوليد عليها، (تحقيق) د/ محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة: دار الصحوة، 1986، ص72، 73.

(2) المرجع السابق: ص74

(3) المرجع السابق: ص99

(4) المرجع السابق: ص 71

ISSN : 2410-1818

- **سلوك منهج الدعاء ودوره في استماله الخصم:** وهو منهج سلكه الباجي في قوله:" وارجو أن وفقك الله بإرشادنا لك إلى ترك التمويه والتعلق بالمغالطة والكذب، ويعوضك علم الحقائق، وصحيح المقاصد..."([1])

-**سعة العلم والاطلاع لدى الشخص المحاور:** وهي سمة قد لمسناها في الباجي-رحمه الله- كشخصية برعت في الحوار، وشاهد ذلك:" وما من نحلة ولا ملة إلا وهي تزعم أن نفوسها نيرة بما تعلمه، منشرحة بما تعتقده، وكذلك تقول البراهمة: الذين يكذبون الرسل، والدهرية: الذين يدّعون الأزل، والفلاسفة: القائلون بقدم العالم، والثنوية: المثبتون لخلق النور والظلام"

فما أجده من هذه الفرق إلا وهو يدعي أن نفسه أسكن إلى ما تعتقده..."

وقوله: "..وعبدت المجوس نيرانها، و الثنوية نورها وظلامها"، و قوله:" ولو جاز لكم أن تقولوا: أن ما أتى به محمد- صلى الله عليه وسلم - من جملة التخييل لجاز للدهرية والفلاسفة والبراهمة و الثنوية الذين يكذبون الرسل أن يقولوا أن جميع ما جاء به موسى- عليه السلام -..." ([2])

-ضرورة الالتفات إلى أسباب الضلال، ومدافعتها؛ للوصول إلى الهداية، ومن أسباب الضلال ما أورده الباجي:" الجهل - قلة التأمل- حب الظهور ".

-علمتنا رسالة الباجي في أكثر من موضع: عدم اغترار الداعية بما لديه، ولابد من لزوم سؤال الله - عز وجل - الهداية والنجاة من الفتنة، ومن ذلك قوله: " ونحن نسأل الله ألا يعدل بنا على الطريقة المثلى، ولا يصرفنا عن سبيل الهدى..." ([3])

- أشار الباجي إلى ثمرات الدعوة: من حصول العلم، وذب الجهل، والشك.

- أكدت رسالة الباجي على أسلوبين من أساليب الدعوة وهما: الحوار، والمباهلة، مستدلاً لهما من القرآن الكريم.

(1) انظر: المرجع السابق ص 74

(2) انظر: المرجع السابق رسالة راهب فرنسا ص 75

(3) المرجع السابق: ص 98

ISSN : 2410-1818

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف البرية، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإنني أخلص مما سبق إلى النتائج التالية:

- إن في أمة محمد -صلى الله عليه وسلم -خير لا ينقطع بتطاول الزمان وانصرام الأيام؛ لأنها خير أمة أخرجت للناس، وهي آخر الأمم، ولذلك كانت هذه الخيرية معلقه بما تقوم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- إن النصرانية إنما هي دين أنزله الله تعالى على عيسى - عليه السلام -، وهو دين توحيد مثلها مثل بقية الديانات التي جاء بها الرسل من عند الله تبارك وتعالى.

- إن رسالة الفقيه الباجي خلاصة طيبة للجدل الإسلامي، نابع من واجب الدفاع عن حياض الدين الإسلامي.

- أبرزت رسالة الباجي دليلاً على أصالة وسبق العلماء المسلمين في تأسيس علم الأديان.

- التأكيد على أن استخدام المنهجية العلمية وتوظيفها في الردود يكسبها المتانة وقوة الحجة والبرهان.

توصيات البحث:

- لابد من زيادة الإنتاج العلمي في دراسة فكر اليهود والنصارى، ومعرفة ثقافتهم، وحقيقة دينهم، ومواطن الضعف والخلل في عقيدتهم وشريعتهم.

- تشجيع الباحثين للدراسة والتوسع في العلوم التي تتناول الأديان الأخرى.

- ضرورة تناول جهود علماء المسلمين في مجال الأديان؛ لما لذلك من دور في إثراء علم مقارنة الأديان.

- لابد من حث الباحثين على التوسع في دراسة المناهج، وتسليط الضوء على أهم المناهج العلمية، وإبراز دورها في الردود الإسلامية.

-لابد من حث الدعاة والباحثين في مجال الأديان على التوعية بضوابط الحوار الإسلامي وآدابه.

ختاما: الله أسال أن يعلمني ما ينفعني، وأن ينفعني بما علمني، ويزيدني علماً وعملاً.

ISSN : 2410-1818

المراجع:

أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

إعجاز القرآن ونقد مطاعن عبدة الصلبان، وائل على أحمد الدسوقي، ط/الثانية، 1427هـ.

الأسس المنهجية لنقد الأديان دراسة في سؤال المنهج ونظرية البحث، د / محمد بن بسيس السفياني، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى 2016م.

إنجيل يوحنا.

الإصحاح الأول / سفر التكوين.

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، للشيخ أبي العباس أحمد الناصري (الدولتان: المرابطّة والموحدّة)، تحقّق تعلّق ولدي المؤلف /الأستاذ جعفر الناصري، والأستاذ/ محمد الناصري.

بين الإسلام والمسحية، أبي عبيدة الخزرجي (ت 528هـ)، ت: د. محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة.

تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (1385 - 1422 هـ) = (1965 - 2001 م)

تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك -المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (224 - 310 هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ت 1401 هـ) الناشر: دار المعارف بمصر الطبعة: الثانية 1387 هـ - 1967 م.

ترتيب المدارك وتقريب المسالك المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ) الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى.

جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية) طبع على نفقة: د حسن عباس زكى.

خلاصة سير سيد البشر المؤلف: أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (ت 694هـ) المحقق: طلال بن جميل الرفاعي الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م.

دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية سعود عبد العزيز الخلف اضواء السلف الطبعة الاولى 1418.

دول الطوائف منذ قّامها حتى الفتح المرابط، محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.

ISSN : 2410-1818

دراسة علم الأديان وأهميتها، ومناهج الباحثين فيها، د. عبد المجيد بن محمد الوعلان، ط، 2019م.
رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها، دراسة وتحقيق دكتور محمد عبد الله الشرقاوي مكتبة طريق العلم.
سنن ابن ماجه المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت 273 هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت 1388 هـ]، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة.
الشيخ أحمد ديدات وجهوده في الدعوة إلى الله، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة الإسلامية إعداد/ سجى محمد أحمد هوساوي، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، 1431هـ.
صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (206 - 261 هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: 1374 هـ - 1955م.
صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1993 م
فوات الوفيات المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى.
القاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد» المؤلف: عمر العرباوي الحملاوي (المتوفى: 1405هـ) - الناشر: مطبعة الوراقة العصرية، تاريخ النشر: 1404 هـ - 1984 م -.
كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد الفاروقي التهانوي، تحقيق د/ علي دحروج، مكتبة لبنان -ناشرون، ط/1.
الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.

ISSN : 2410-1818

معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) المؤلف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت.

مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، عبد الرحمن الزنيدي، مركز الدراسات والإعلام، دار أشبيليا، الطبعة الأولى.

معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) المؤلف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق) الناشر: دار مكتبة الحياة - بيروت عام النشر: [1377 - 1380 هـ] جـ 1 و 2/ 1377 هـ - 1958 م جـ 3/ 1378 هـ - 1959 م جـ 4/ 1379 هـ - 1960 م جـ 5/ 1380 هـ - 1960م

المعجم الفلسفي من وضع مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1403 هـ.

المنهج العقلي في القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب من خلال سورة البقرة دكتور جمال الدين أحمد القادري، المدينة المنورة، 1438هـ

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت.

- نقد الأديان عند ابن حزم الأندلسي، عدنان المقراني، المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1429هـ2008م -

مقال للدكتور/ بلبل عبد الكريم، التعريف بالنقد، 1430/10/5هـ.- 2012/4/2م- شبكة الألوكة https://www.alukah.net/social/0/39819/